



ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Ahmad Tayis Hassan Ali.

College of Imam Aladham

* Corresponding author: E-mail :
ahmed79has@gmail.com

٠٧٧١١٢٦٠٣٢٠

Keywords:

Explantation ‘
Chart ‘
Quran ‘
The book ‘
Doubt.

ARTICLE INFO

Article history:

Received 25April. 2018
Accepted 3 September 2018
Available online 16 Dec 2020

E-mail

journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iq

E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

Journal of Tikrit University for Humanities

Graphic Interpretation of the First Five Verses of Surat Al-Baqara.

A B S T R A C T

The Arabic language has characteristics that no other language has, and that is why God Almighty made it the language of his dear book. From here we realize that the status of interpreting this miraculous language with all its methods, its ramifications and its devastations. Thus, the status of the linguistic interpretation of the Qur'an and its position in the science of exegesis becomes clear to us, and the graphic interpretation had its effective and active presence that revealed aspects of the understanding of the Qur'anic text that is a well-rounded understanding of the spirit of Arabic which is achieved by taking care of the words, and the connotations that are compatible and compatible with the Qur'anic context.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.2020.01>

التفسير البياني للآيات الخمس الأولى من سورة البقرة.

د. أحمد طائيس حسن / كلية الامام الاعظم / قسم القراءات القرآنية

الخلاصة

إن اللغة العربية لها من الخصائص ما ليس لأي لغة غيرها، ولذلك جعلها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه العزيز، ومن هنا ندرك منزلة تفسيره بهذه اللغة المعجزة بكل أساليبها، وتفرعاتها وأفانينها؛ وبذلك تتضح لنا منزلة التفسير اللغوي للقرآن، ومكانته في علم التفسير، وكان للتفسير البياني حضوره المؤثر الفاعل الذي كشف عن جوانب لفهم النص القرآني فهما مستشفاً روح العربية، بالناية بالألفاظ، وما تجمله من دلالات متوافقة ومتواشجة مع السياق القرآني.

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن علم التفسير هو أسمى المطالب، وأعلاها لنيل سعادة الدنيا والآخرة، وهو سيد العلوم الدينية، وأشرفها، إذ هو الدال على كتابه عز وجل والموصل إليه، وشرف العلم ومقامه بشرف المعلوم ومقامه.

وإن اللغة العربية لها من الخصائص ما ليس لأي لغة غيرها، ولذلك جعلها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه العزيز، ومن هنا ندرك منزلة تفسيره بهذه اللغة المعجزة بكل أساليبها، وتفرعاتها وأفانينها؛ وبذلك تتضح لنا منزلة التفسير اللغوي للقرآن، ومكانته في علم التفسير، وكان للتفسير البياني حضوره المؤثر الفاعل الذي كشف عن جوانب لفهم النص القرآني فهماً مستشفافاً روح العربية، بالناية بالألفاظ، وما تجمله من دلالات متوافقة ومتواشجة مع السياق القرآني .

ورغبة في بيان بعض ملامح التفسير البيان ارتأيت دراسة الآيات الخمس الأول من سورة البقرة من أجل ضمان وحدة السياق ، وأسستني الحروف المقطعة منها لسعة الكلام فيها ، وللتركيز على التفسير البياني في سائر الآيات .

وقد اعتمدت في ذلك فضلاً عن أقوال العلماء في تفسير الآيات على تحليلي للنص وما ظهر لي من وجوه بيانية .

وقد قسمت هذا البحث على خمسة مطالب :

المطلب الأول : التفسير البياني للآية الأولى .

المطلب الثاني : التفسير البياني للآية الثانية .

المطلب الثالث : التفسير البياني للآية الثالثة .

المطلب الرابع : التفسير البياني للآية الرابعة .

المطلب الخامس : التفسير البياني للآية الخامسة .

ثم الخاتمة التي لخصت فيها أهم ما جاء في ذا البحث.
والله ولي التوفيق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المطلب الأول

التفسير البياني للآية الأولى

المسألة الأولى :

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(١) .

إن استخدام اسم الإشارة ﴿ ذَلِكَ ﴾ في هذا الموضع إلى الكتاب المنزل على النبي . صلى الله عليه وسلم . أو القرآن على خلاف اسم الإشارة (هذا) مثلاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(٣) . وقوله سبحانه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾^(٤) .

واختلف المفسرون في معنى (ذلك) على قولين :

القول الأول : إن المعنى : هذا القرآن ، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش.

والقول الثاني: أنها إشارة إلى غائب^(٥).

وقد ذكر أصحاب القول الثاني وجوهاً لسبب استخدام اسم الإشارة (ذلك) ؛ وأبرزها أنه استخدم هذه الصيغة للتعظيم^(٦) .

وعلى هذا فإن اختيار لفظة (ذلك) على (هذا) هو لتوافق اللفظة مع السياق ، فإنَّ السياق القرآني هنا مع أنه في وصف المؤمنين ، إلا أنه أتى بعده في سياق مخاطبة الذين كفروا من أهل الكتاب والمنافقين، لذلك فاستخدم اسم الإشارة للبعيد ؛ لأنه بعيد عنهم مكانة وعملاً ، فهو بعيد مكانة ؛ لأنه مختص بالمؤمنين ، ولا يختص بالمنافقين ولا بالكافرين، وعيد عنهم من حيث العمل ، فهم لا يؤمنون بما فيه ، ولا يعملون بأحكامه ، حتى وإن ادعى الإسلام ، لذلك استخدم اسم الإشارة

الدال على البعيد لتعظيمه ، وكأنه يقول سبحانه لهم : إذن هذا القرآن ليس بمتناولكم لأنكم ابتعدتم عنه بعدم إيمانكم به .

وقد وردت الإشارة إلى الكتاب باسم الإشارة (هذا) في موضع واحد هو قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^(٧) ، ومن المعلوم أن الحديث هنا في وصف بعض أحوال يوم القيامة ، وأن المقصود بالكتاب هو صحائف الأعمال التي تلقى إلى أصحابها ، فهي بين أيديهم فعلاً ، لذلك أشير إلى هذا الكتاب باسم الإشارة (هذا) .

وربما يقول قائل : إن الآيات الخمس الأولى أنزلت في المؤمنين ؟

فقد روي عن مجاهد قوله : " هؤلاء الآيات الأربع في أول سورة البقرة إلى ﴿ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٨) نزلت في نعت المؤمنين واثنان من بعدها إلى ﴿ عَظِيم ﴾^(٩) نزلت في نعت الكافرين وإلى العشر نزلت في المنافقين " ^(١٠) .

والجواب عن هذا أن الآيات الخمس التي نزلت في وصف المؤمنين إنما هي تمهيد لمخاطبة المنافقين ، والكافرين ، ثم أهل الكتاب من اليهود (بني إسرائيل) والحديث عن أخبارهم حتى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾^(١١) حيث خوطب المسلمون .

المسألة الثانية :

في هذه الآية استخدم سبحانه وتعالى لفظ (الكتاب) وعدم استخدام لفظة (القرآن) ، ولا شك أن المقصود بالكتاب هنا هو القرآن الكريم ، كما ذكر ذلك المفسرون ^(١٢) .

وإشار لفظة (الكتاب) على لفظة (القرآن) من وجوه ذكر بعضها المفسرون ، وبعضها مما يمكن استنباطه ، وهذه الوجوه هي :

إن القرآن يطلق على الكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . ، ومعلوم أن القرآن الكريم إن الكتاب يطلق على القرآن هو في اللوح المحفوظ ، أي : نزل بعضه ، وبعضه لم ينزل بعد عند نزول سورة البقرة التي هي سورة مدنية ، فما زالت هناك سور لم تنزل ، فلو قيل (ذلك القرآن) لكان خاصاً بما أنزل منه فقط

، لذلك استخدم لفظ الكتاب ليشير إلى ما أنزل وإلى ما لم ينزل به ، أي الموجود في اللوح المحفوظ. وهذا القول هو أحد وجوه استخدام لفظ (ذلك) كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين^(١٣) .

ومن ناحية أخرى فإن لفظ (القرآن) يرتبط بالقراءة ، وأن الكفار والمنافقين ليسوا ممن يقرأ القرآن ، لذلك ناسب أن يأتي بلفظ (الكتاب) إشعاراً بأنهم ليسوا ممن يقرأ هذا الكتاب .

المسألة الثالثة :

في هذه الآية استخدم سبحانه وتعالى : (الريب) أي لا شك فيه، وقيل : إن الريب هو التهمة ، أي لا تهمة فيه^(١٤) .

ولم يستخدم الشك مثلاً ؛ لأن الريب هو شك مع تهمة^(١٥) ، وهذا يعبر عن واقع حال الكفار والمنافقين ، فهم جمعوا بين شكهم بالقرآن الكريم ، وبين اتهامهم للنبي صلى الله عليه وسلم . أن يكون مرسلًا من الله تعالى .

وقيل : إن الريب أخص من الشك ، فالشك لما استوى فيه الاعتقادان، أو لم يستويا ؛ ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتمدة، والريب لما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوع ظهور، ولهذا حسن ﴿ لا ريب فيه ﴾ هنا، فإنه بيان لكون الأمر ظاهراً بالغاً درجة اليقين بحيث لا يحصل فيه ريب فضلاً عن شك^(١٦) .

المسألة الرابعة :

يلاحظ أنه في سور أخرى ابتدأ سبحانه بقوله : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾^(١٧) في حين أنه ابتدأ في البقرة بقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ووجه ذلك :

إنه سبحانه ذكر في سورة البقرة مشتقات الكتاب والكتابة (٤٧) مرة والآيات (٢١) مرة ، أما في سورة يونس ، فقد ذكر الكتاب ومشتقاته (٤) مرات ، وذكر الآيات ومشتقاتها (١٨) مرة ، وفي سورة لقمان ذكر الكتاب مرتين والآيات خمس مرات، وهذه سمة تعبيرية أن التي بدأت بالكتاب ذكر فيها الكتاب أكثر ، والتي بدأ فيها بالآيات ذكر فيها الآيات أكثر .

ومن ناحية أخرى ، فإن في سورة يونس جرى الحديث عن بعض آيات الله تعالى الكونية ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٨) .

وفي سورة لقمان ﴿ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّمَا يَسْمَعُهَا ﴾ (١٩) .

فلما كنا الحديث في هاتين السورتين عن الآيات جرى استهل ذكر السور بها على خلاف سورة البقرة التي كان الحديث فيها منصبا على أحوال المنافقين والكافرين . وهناك وجه آخر ، وهو سبب عدم وصف الكتاب في سورة البقرة بالحكيم أسوة بالسورتين ؟

إن الوصف بالحكمة ناسب السورتين ففي يونس قال تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ (٢٠) .

إي إنه صار حكيما لما أن من تأمل فيه ونظر وفهم ما أودع فيه وأدرج، صار حكيما (٢١) ، فوصفه بالحكيم هنا إذا يناسب الرد على تكذيب الكفار وتعجبهم من إتيان الرسول . صلى الله عليه وسلم . النبوة .

وقد يراد من وصفه بالحكيم أنه " محكم متقن مبرأ من الباطل والكذب والاختلاف " (٢٢) ، وهذا أيضاً يناسب الرد على منكري النبوة ، ولهذا جاءت الآيات الأخرى تذكر آيات الله تعالى الكونية .

أما في سورة لقمان؛ فإن الوصف بالحكمة ناسب وصف لقمان بالحكمة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ (٢٣) .

المسألة الخامسة :

وصف الكتاب في البقرة بأنه ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ في حين وصف في لقمان بقوله : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٤) .

ووجه ذلك أنه تعالى حث في سورة البقرة على الاتقاء من النار في قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ

دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴿٢٥﴾ ، فَكَانَ هُنَاكَ تَنَاسُبٌ بَيْنَ وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْكِتَابِ بِالْمُتَّقِينَ ، وَبَيْنَ الْأَمْرِ بِاتَّقَاءِ النَّارِ ، وَكَذَلِكَ تَنَاسَبَ وَصْفُ الْكِتَابِ بِأَنَّهُ ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ ، وَالتَّقْوَى أَمْرٌ خَاصٌّ يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْسِ ، فَالْمُتَّقِي هُوَ مَنْ يَقِي نَفْسَهُ النَّارَ وَالشَّبَهَاتِ ، أَمَّا الْمُحْسَنُ فَهُوَ مَنْ يَحْسَنُ إِلَى الْآخِرِينَ بِوَجْهِهِ الْبِرِّ الْمَخْتَلَفَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٢٦) ، أَي : كَلِمَةً حَسَنَةً ، وَالْإِحْسَانَ أَنْ يُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّا عَلَيْهِ وَيَأْخُذَ أَقْلَ مِمَّا لَهُ ، وَلِذَلِكَ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ (٢٧) ، فَالْإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ وَالْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ (٢٨) ، فَلَمَّا كَانَتْ سُورَةُ لُقْمَانَ تَحْتَ عَلَى الْخِصَالِ الْخَيْرَةِ وَعَلَى الْبِرِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حِمْلَتَهُ أُمُّهُ وَهُنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٩) ، لِذَلِكَ نَاسَبَ الْوَصْفُ بِالْإِحْسَانِ .

المطلب الثاني

التفسير البياني للآية الثانية

إِنْ فَاتِحَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ تَوَافَقَتْ كَثِيرًا مَعَ فَاتِحَةِ سُورَةِ لُقْمَانَ ، فَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ اَلْم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وَفِي سُورَةِ لُقْمَانَ : ﴿ اَلْم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ فِي حِينَ وَصَفَهُمْ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ بِقَوْلِهِ ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

أي إنه تعالى في سورة البقرة فصل في بيان وجوه الإيمان وهي :

الإيمان بما أنزل إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . .

الإيمان بما أنزل على الأنبياء السابقين . عليه السلام . .

الإيمان بالغيب . وهذا ما جرى الاختصار عليه فقط في سورة لقمان ، والذي يبدو أن الحكمة من ذلك :

إن الحديث في سورة البقرة قد ركز على مخاطبة الكفار من أهل الكتب ومن المشركين والمنافقين ، أي ذكر صنوف المعاندين الثلاثة ، فاشتراط الإيمان بما أنزل على النبي . صلى الله عليه وسلم . هو خطاب عام لجميع الأصناف .

واشتراط الإيمان بما أنزل من قبل النبي . صلى الله عليه وسلم . يشمل المشركين والمنافقين ، وهو يشمل اليهود أيضاً لأنهم آمنوا بموسى عليه السلام . وأنكروا نبوة عيسى . عليه السلام . ، وهو قبل النبي . صلى الله عليه وسلم . .

لذلك بين القرآن الكريم دعاوى المنافقين بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٠) ، كما بين دعاوى اليهود بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (٣١) ، وفي غيرهما من الآيات التي حفلت بها سورة البقرة ، فادعاء هؤلاء الإيمان إنما هو مجرد دعوى تنقضها الحقائق والوقائع .

أما في سورة لقمان فالحديث مع المؤمنين الذين وصفوا بالإحسان ، إي إن الإيمان متحقق فيهم أصلاً ، لذلك خص الإيمان بالغيب .

وفي سورة البقرة جرى الحديث عن أصناف الناس من حيث إيمانهم ، ومنهم السفهاء ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢) فناسب تخصيص الخطاب بالمتقين ، أما في سورة لقمان فالحديث مع عمم الناس الذين ليس منهم السفهاء لذلك لم يستلزم تخصيصه بالمتقين بل بعمم الناس .

والمخاطبون في سورة لقمان يقرون بالخالق سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٣٣) ، وفي قوله : ﴿ وَإِذَا

غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَازِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴿٣٤﴾ .

المطلب الثالث

التفسير البياني للآية الثالثة

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ولم يقل : آمنوا بالغيب مع أن إيمان المتقين بالغيب مؤكد في الآية ؟

وجه ذلك إنه سبحانه جاء بصيغة المضارع ولم يقل آمنوا بصيغة الماضي ؛ لأن الإيمان منا مستمر متجدد لا يطرأ عليه شك ولا ريبة ، وهذه من خصائص الفعل المضارع ، كما هو معلوم .

وفي المقابلة بين سورتي البقرة ولقمان ذكر في الأولى ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٣٥) ، وذكر في الثانية ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ (٣٦) .

وما يلاحظ أن سورة لقمان مكية ، وأن الزكاة لم تكن قد فرضت بعد " وإنما فرضت الزكاة عليهم بعد هجرتهم إلى المدينة" (٣٧) ، وروي عن الحسن البصري . رحمه الله تعالى . أن هذه الآية مدنية ؛ لأن الصلاة والزكاة مدينتان (٣٨) .

وهنا يرد إشكال مفاده أن في سورة البقرة وصف المؤمنين بالمتقين ، في حين أنه وصفهم في سورة لقمان بالمحسنين ، والإحسان أعم من التقوى ، أفلا يناسب الإحسان التوسع في الإنفاق ؟

والجواب عن هذا كما يبدو أن في سورة البقرة جرى تفصيل الإيمان ، فناسبه أن يجري هنا تفصيل الإنفاق أي بالتوسع فيه .

ومن ناحية أخرى فإن الخطاب في سورة البقرة شامل للمؤمنين والمنافقين ، ولا شك أن المنافقين مضطرون لإخراج الزكاة مثلما هم مضطرون أداء الصلاة جماعة لإبعاد الشبهات عنهم ، لذلك جرى الحث على التوسع في الإنفاق ، وأن لا يكون مقصوراً على الزكاة الجبرية التي تؤخذ من كل وجبت عليه .

ومن ناحية ثالثة ، فالزكاة واجبة على من توافرت فيه شروط إخراج الزكاة ، أما من لم يبلغ هذه الشرائط فلا زكاة عليه ، ولكن إخراج الصدقات لا يتعلق بتوافر هذه الشروط، فقد يتصدق المقتر كما يتصدق الموسع عليه في رزقه .

وكذلك فإن سورة البقرة قد توسعت في ذكر وجوه الإنفاق كما في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾ (٣٩) ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًى وَلَا أَدْنَى ﴾ (٤٠) ، وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (٤١) .

لذلك ناسب الحديث عن التوسع في الإنفاق على خلاف سورة لقمان التي لم تجر الإشارة فيها إلى الإنفاق أو الزكاة إلا في هذه الآية .

المطلب الرابع

التفسير البياني للآية الرابعة

قدم الجار والمجرور على الفعل (٤٢) ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ لأن الإيقان بالآخرة صعب ومقتضاه شاق ، أما الإيمان بالله كثير من الناس يؤمنون بالله ؛ لكن بعضهم مع إيمانه بالله لا يؤمن بالآخرة مثل كفار قريش ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٤٣) إذن هم مؤمنون بالله ؛ لكن غير مؤمنين بالآخرة ، لذلك قدم الآخرة لأهميتها .

المطلب الخامس

التفسير البياني للآية الخامسة

لقد تشابهت النهايتان هنا في السورتين ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ويلاحظ أن اقتران لفظ الرب مع الهداية اقتران في غاية اللطف والدقة ؛ لأن الرب هو المربي والموجه والمرشد والمعلم، لذلك كثر اقتران الهداية بالرب في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٤) .

وقد أضيف الرب إليهم (ربهم) للتأكيد على مزيد الاعتناء بهم، وقرب منزلتهم من الله تعالى ، وهو نظير قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾^(٤٥) .

ويلاحظ في هذه الآية أنه سبحانه وتعالى استعمل مع الهداية لفظ (على) ، قال تعالى ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤٦) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾^(٤٧) ، بعكس الضلال فهو يستعمل له لفظ (في) كما في قوله تعالى : ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٤٨) ، وفي قوله : ﴿ فَهُمْ فِي رِيبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾^(٤٩) .

كأن المهتدي هو مستعلي يبصر ما حوله ومتمكن مما هو فيه مستعلي على الشيء ثابت يعلم ما حوله ويعلم ما أمامه ، أما الساقط في اللجة أو في الغمرة أو في الضلال ، فلا يتبين ما حوله بصورة صحيحة سليمة لذا استعمل مع الهداية (على) ومع الضلال (في)^(٥٠).

وقد جيء بضمير الفصل (هم) وجاء بالتعريف (المفلحون) لم يقل أولئك مفلحون ولم يقل هم مفلحون ، وإنما حصراً : إن هؤلاء هم المفلحون ، أي : ليس هنالك مفلح آخر ، وأن المراد من اسم الإشارة هو الناحية الحسية المحسوسة ، ليس المجاز ؛ لأن أولئك للبعيد في إشارة إلى علو مرتبة هؤلاء ومنزلتهم ، وعلو ما هم فيه ، فالذي على هدى هو مستعلي فيما يسير ، فيشار إليهم بما هو بعيد وبما هو مرتفع وبما هو عال ثم حصر الفلاح فيهم قال ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ حصراً فمن أراد الفلاح فليقتد بهؤلاء وعلى خلافه الحصر للكفرة كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٥١) .

الخاتمة

بعد هذا العرض للتفسير البياني للآيات الخمس الأولى من سورة البقرة ، أخص أهم ما جاء في هذا البحث بما يأتي :

١. إن استخدام اسم الإشارة ﴿ ذَلِكَ ﴾ هو لتوافق اللفظة مع السياق القرآني ؛ لأن القرآن الكريم بعيد عن الكافرين والمنافقين مكانة وعملاً .

٢. إن استخدام لفظ (الكتاب) من وجوه منها للإشارة إلى ما أنزل وإلى ما لم ينزل به ، وأن لفظ (القرآن) يرتبط بالقراءة ، وأن الكفار والمنافقين ليسوا

ممن يقرأ القرآن .

٣. إن استخدام (الريب) ؛ لأن الريب هو شك مع تهمة ، وهذا يعبر عن واقع حال الكفار والمنافقين .

٤. وصف الكتاب في البقرة بأنه ﴿ هَدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وقد ناسب هذا لأمر باتقاء النار في السورة .

٥. فصل في بيان وجوه الإيمان في سورة البقرة ليناسب ذكر أصناف الناس من حيث الإيمان الذي ورد في السورة .

٦. إن الخطاب في سورة البقرة شامل للمؤمنين والمنافقين ، لذلك جرى الحديث عن إخراج الصدقات وعدم الاقتصار على الزكاة التي يلزم المنافق بإخراجها .

والله من وراء القصد

الهوامش

١. سورة البقرة : الآية ٢ .
٢. سورة الأنعام : من الآية ٦ .
٣. سورة الكهف : من الآية ٤٩ .
٤. سورة الأنعام : من الآية ٩٢ .
٥. ينظر : زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ : ٢٧/١ .

٦. ينظر : البحر المحيط، لأبي عبدالله أنير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بابن حيان وبأبي حيان، (ت ٧٥٤هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ : ١٧/٣.
٧. سورة الإسراء : الآية ٩.
٨. سورة البقرة : من الآية ٥.
٩. سورة البقرة : من الآية ٧.
١٠. الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م : ٥٩/١.
١١. سورة البقرة : من الآية ١٧٧.
١٢. ينظر : زاد المسير : ٢٧/١ ؛ مفاتيح الغيب المعروف بـ(التفسير الكبير)، وبـ(تفسير الرازي)، لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي، (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط ٣، ١٤٢٠هـ : ٢٥٨/٢ - ٢٦٠ ؛ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله شمس الدين محمد ابن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م : ١٥٨/١.
١٣. ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ(تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م : ٢٢٦/١ ؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبدالرحمن عويس، قدمه وقرظه الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م : ٧٧/١.
١٤. ينظر : جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري بن دريد، (ت ٣٢١هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م : مادة (ريب) ٣٣٢/١.
١٥. ينظر : الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ١٤١٢هـ : ٢٦٤.
١٦. ينظر : تفسير ابن عرفة، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ١٩٨٦م : ٣٦١/٢ ؛ نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م : ٢٧٤/١.
١٧. سورة يونس : من الآية ١ ؛ سورة لقمان : الآية ٢.
١٨. سورة يونس : الآية ٣.
١٩. سورة لقمان : من الآية ٧.
٢٠. سورة يونس : الآية ٢.
٢١. ينظر : تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي، (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م : ٣/٦.
٢٢. ينظر : المصدر نفسه : ٣/٦.
٢٣. سورة لقمان : من الآية ١٢.
٢٤. سورة لقمان : الآية ٣.
٢٥. سورة البقرة : الآيتان ٢٣ - ٢٤.
٢٦. سورة البقرة : من الآية ٨٣.
٢٧. ينظر : المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م : ١١٨.
٢٨. ينظر : إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (ت ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ : ١٠٧/٤.
٢٩. سورة لقمان : الآية ١٤.
٣٠. سورة البقرة : الآية ٨.
٣١. سورة البقرة : من الآية ٥٥.
٣٢. سورة البقرة : الآية ١٣.
٣٣. سورة لقمان : من الآية ٢٥.
٣٤. سورة لقمان : من الآية ٣٢.
٣٥. سورة البقرة : من الآية ٣.
٣٦. سورة لقمان : من الآية ٤.
٣٧. تأويلات أهل السنة : ٢٠٧/١٠.
٣٨. ينظر : زاد المسير : ٤٢٩/٣.

٣٩. سورة البقرة : من الآية ٢٦١ .
 ٤٠. سورة البقرة : من الآية ٢٦٢ .
 ٤١. سورة البقرة : من الآية ٢٧٤ .
 ٤٢. ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج، لأبي الحسن نور الدين علي بن الحسين بن علي الأصفهاني الباقولي، (ت٥٤٣هـ)، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة ، ودار الكتب اللبنانية بيروت والقاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ : ٢٨٥/١ .
 ٤٣. سورة لقمان : من الآية ٢٥ .
 ٤٤. سورة الأنعام : من الآية ١٦١ .
 ٤٥. سورة الإسراء : من الآية ١ .
 ٤٦. سورة يس : من الآية ٤ .
 ٤٧. سورة النمل : من الآية ٧٩ .
 ٤٨. سورة يوسف : من الآية ٨ .
 ٤٩. سورة التوبة : من الآية ٤٥ .
 ٥٠. ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٩/١٤ : ٢٥٤ .
 ٥١. سورة البقرة : من الآية ٢٥٤ .

Sources

- The Parsing of Qur'an, by Abu Jaafar Ahmad bin Muhammad bin Ismail al-Nahhas (d. 338 AH), annotated and commented by Abd al-Moneim Khalil Ibrahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1421 AH.
- The Parsing of the Qur'an attributed to Al-Zejaj, by Abu al-Hasan Nur al-Din Ali ibn al-Husayn bin Ali al-Isfahani al-Baquli (d.543 AH), edited by Ibrahim al-Ibyari, the Egyptian Book House in Cairo, and the Lebanese House of Books, Beirut and Cairo, 4th Edition, 1420 AH.
- Al Bahr Al Muheet (Ocean Sea), by Abu Abdullah Atheer Al Din Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Al Andalusi, known as Ibn Hayyan and Abu Hayyan, (d. 754 AH), by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al Fikr, Beirut, 1420 AH.
- Interpretations of the Sunnis, by Abu Mansour Muhammad bin Muhammad Al-Matredi, (d. 333 AH), edited by Dr. Majdi Baslum, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut-Lebanon, 1426 AH 2005 AD
- Interpretation of Ibn Arafa, by Abu Abdullah Muhammad bin Muhammad bin Arafa al-Warghami al-Tunisi al-Maliki (d.803 AH), verified by Dr. Hassan Al-Mannai, Research Center at Zitounia College, Tunis, 1986.
- Jami' al-Bayan on the interpretation of the verse of the Qur'an known as (Tafsir al-Tabari), by Abu Jaafar Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Khalid bin Katheer bin Ghaleb al-Amali al-Tabari, (d. 310 AH), verified by Mahmoud Muhammad Shaker and Ahmad Muhammad Shaker, The Resala Foundation, Egypt, 1420 AH to 2000 CE .
- Al-Jami 'for the provisions of the Qur'an, by Abu Abdullah Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad bin Abi Bakr bin Farah al-Ansari al-Khazraji al-Qurtubi, (d. 671 AH), verified by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh, Dar al-Kutub al-Masriya, Cairo, 2nd edition, 1384 AH 1964 AD.

- The Language Population, by Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Hassan Al-Azdi Al-Basri Bin Duraid, (d. 321 AH), edited by Ramzi Munir Baalbaki, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, 1987 AD.
- Al-Dur Al-Manthur, by Abd al-Rahman bin al-Kamal Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti, (d. 911 AH), Dar al-Fikr for Printing and Publishing, Beirut, 1993 AD.
- Added Al-Maseer in the Science of Tafsir, by Abu Al-Faraj Abdulrahman bin Ali bin Muhammad, known as Ibn Al-Jawzi, (d.597 AH), edited by Abd Al-Razzaq Al-Mahdi, Arab Book House, Beirut, 1422 AH.
- Linguistic Differences, by Abu Hilal Al-Hassan Bin Abdullah Bin Sahl Al-Askari (d. 395 AH), edited by Muhammad Ibrahim Salim, Dar Al-Alam and Culture for Publishing and Distribution, Cairo-Egypt, 1412 AH.
- Keys to the Unseen known as (Al Tafsir Alkabeer) and (Tafsir al-Razi) by Abu Abdullah Fakhr al-Din Muhammad bin Omar bin Husayn al-Qurashi al-Tabaristani in origin and al-Shafi'i in school of thought- AL-Razi, (d.606AH), House of Reviving Arabic Heritage, Egypt. 3rd Ed. 1420AH.
- Vocabulary in the Strange of al-Qur'an, by Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad al-Ragheb al-Isfahani (d. 502 AH), edited by Safwan Adnan al-Daoudi, Dar al-Qalam in Damascus, and Dar al-Shamiya, Beirut, 1412 AH -1992AD.
- Revelations of the firstborn and the oddities of ideas, Al-Suyuti's commentary on Tafsir Al-Baidawi, by Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr Al-Suyuti, (d.911 AH), Umm Al-Qura University, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, 1424 AH 2005 AD.
- The Mediator in the Interpretation of the Glorious Qur'an, by Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Wahdi Al-Nisaburi Al-Shafi'i (d. Presented and enjoined by Prof. Dr. Abdel-Hay El-Faramawy, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut-Lebanon, 1415 A.H. 1994 A.D.